وهو العطا فذلك لعلم فهمه وقصور علمه بل الاكمل والافضل له ان يولم
بالعطا ويلذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصلح الفقر للفقير
حتى يكون فيه خلتان احدهما الثقة بالله والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه
مما ابتلي به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع
افضل من نظره له في العطا وعلامة صدقه في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة
ما لا يجد للعطا لا يعرفه غير باريه الذي خصه بمعرفته واياديه فهو لا يرى
سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شي له تابع وكل شي له خاضع
انتهى ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب
فكان سببا للوصول ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشيا ولينظر الى حقايقها
فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الافات القادحة
في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب
لا تقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله اليه وحصوله
في حضرة قربه كما قيل رب ذنب ادخل صاحبه الجنة وقد جا في الحديث
الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله بالطاعات ان يعجب
ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها وتصحبه عند وقوعه
في الذنب اللجا الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه
وتعظيم من لم يفعله قال ابو حازم ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين
يعملها وما خلق الله من سيئة اضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوه
حين يعملها وما خلق الله من حسنة انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل
الحسنة تسره فيتجبر فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها او
يحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوه حين يعملها ولعل الله
ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق ثم بين

ثم بين المولف رحمه الله تعالى هذا المعنى بقوله معصية اورثت ذلا وافتقارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا الذل والافتقار من اوصاف العبودية
والعز والاستكبار كانا لها لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات
اذا لزم عنها شي مما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالات بالمعصية اذا لزمتها صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالات بالمعصية اذا لزمتها صفات العبودية لانها ايضا تمحوها
وتزيلها قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من
صولة المطيع وكان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجا لعباد
الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم
عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه
عاص فاكرمه لان ذلك الطايع اتا وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي
دخل عليه بكثرة معصيته وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم
الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله فمن هذا المعنى ما روي
عن ابان بن ابي عياش رضي الله عنه انه قال خرجت يوما من عند انس
بن مالك بالبصرة فرايت جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معها رجل
اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يتبعها احد فلاكونن
خامسهم فشيعت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا الي تقدم فقلت انتم اولى به
فقالوا كلنا سوا فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا
تلك المراة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المراة وهي
تضحك فدخل قلبي شي فقلت لا ينجيك الا الصدق فاخبريني بشان القصة فقالت لي ان
هذا ابني ما ترك شيا من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة ايام فقال لي يا اماه
اذا مت فلا تعلمي بوفاتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي
واكتبي على خاتم لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله يرحمني
وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزا من عصى الله واذا دفنتني فارفعي يديك
الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما
اوصى به فلما رفعت يدي الى السما سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي
يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي فانا ما نكث
من هذا ومن المعنى الاخر ما روي ان رجلا من بني اسرايل تاعبدا من
بني اسرايل فوطي على رقبته وهو ساجد فقال [illegible] رفع فوالله لا يغفر الله
لك فاوحى الله عز وجل ايها المتالي على بل لا يغفر الله لك قال الحارث

Copyright © King Saud University